سلسله مطبوعات مكتبة الاسلام لكهنؤ

معقل الإنسانية

رسالة

الى ابناء البلاد العربية خاصة

بقلم

ابو الحسن علي الحسني الندوي

تطلب من

مكتبة الاسلام لكناو

الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

معقل الانسانية

سرّح طرفك فى عالم القرن السادس المسيحى. ولايفتننك الابنية الشامخة المشيدة والملابس الفاخرة المزخرفة وقناطير الذهب والفضة المقنطرة، فذلك ماتراه فى مجموع الصور القديمة و دارالاثار العتيقة، ولكن انظر هل ترى للمروءة حياة فى ناحية من نواحى الشرق والغرب ؟ احبس نفسك واستمع، هل تحس لم عرقا ينبض وقلبا يخفق ؟

ترى الحياة بحراً يزدرد فيه الحوت الكبير الحوت الصغير والعالم غابة يفترس فيها الاسود والكلاب والخنازير والذئاب الغنم والخروف، لقد انتصر الشر على الخير، والرذيلة على الفضيلة والاهواء على العقل، والبطن على الروح، لقد تطاولت الارض السماء سفاهة، ونصبت المفرقدين الحبائل،

أصبحت الدنيا سوق المذاداة يضالعها كل ملك ووزير و غني و فقير يباعون بيع السلع فهل ترى فى هذالمضار فتى يربأ بنفسا

عن ان يباع بيع السلعة و ينادي: ان هذا الجو الفسيح لا يسع لطيراني، لقد كانت الحياة لاتقع مني بمكان فخلق الله لي حياة ثانية فكيف ابيع روحي وجوهر انسانيتي بكسر من كسور هذا العالم الصغير؟

لقد صارت للشعوب والبلاد ثم القبائل والعشائر ثم الاسر والبيوتات دوائر صغيرة و اعتاد اصحاب الطموح و الكبرياء ان يسكنوا فيها كالاقزام لايضيقون بها ذرعا، و لا يبغون عنها بدلا، و لا يرون في خارجها حياة و لايعرفون بشرية أوسع و عالماً أفسح، لقد أصبحت الحياة تعاطيا في البيع و الشراء و تسابقا في المكيدة و الخداع، أصبحت البشرية جثة هامدة ليس فيها حرارة روح ولوعة قلب و سمو نفس،

لقد نبتت على أديم البشرية غابة كثيفة و حشائش شيطانيا فيها آجام يعيش فيها السباع الضارية والحشرات السامة و فيها مستنقعات فيها انواع العلق، و في الغابة كل سبع مخيف وكل طائر جارح و في المستنقعات كل علق خبيث يعلق بالانسان و يمتص دمه، و لكن لم يكن في هذالعالم المزدحم بالبشر من يستحق أن يسمى بشراً، أما الرجال فقد لجاؤا الى المغارات و الاديار و الكنائس واحتفظوا بدينهم و حياتهم او مكثوا في تيار الحياة

يتلهون بالفلسفة ويتغنون بالشعر وليس فى المدنية رجل جد يكافح أعداء المدنية وينتصر للبشرية المظلومة،

واذا بهذه الجثة البشرية الهامدة يدب فيها دبيب الحياة، واذا بهذا الجسد الميت يهتز اهتزازا تتزلزل به أوكار الطيور التى قد عششت عليها وباضت وفرخت وهى تحسب انها ميتة لاحراك بها، واذا ببيوت العناكب تتفتت وتتساقط، وذلك ما يعبر عنه أصحاب سير والروايات فى لغتهم بارتجاج ايوان كسرى وخمود نار المجوس أما رائيت كيف تتناثر المبانى المجصصة والبروج المشيدة كأوراق الخريف بحركة من باطن الارض فيضطرب بها ظهر الارض فكيف لا تتزلزل نظم كسرى وقيصر وما بناه فراعنة العصر ببعثة النبى الاعظم صلّى الله عليه وسلم وطلوع فجر السعادة والعدل فى العالم،

بعث محمد بن عبد الله الهاشمى صلّى الله عليه وسلم فى مكة قلب العالم المتمدن المعمور فأرسل صيحة دويت بها الغابات وجاوبتها الجبال وذلك قوله « لا اله الا الله محمد رسول الله » كلام وجيز يحمل فى أثنائه عالم المعانى والحقائق، ولقد شهد التاريخ بأن أسس الحياة الكاذبة المزوّرة ودعائم النظم المصنوعة الجائرة لم تتأثر ولم تتزلزل بشيئ مثل ما زلزلت فى هذه المرة بهذه الكلمة الوجيزة البسيطة وان الذهن البشرى لم يضرب أبدا قبل هذه ضربة موجعة فتألم بها هذا الذهن البليد واستشاط غضبا وجن

جنونه وقال « أجعل الالهة الها واحداً ان هذا لشئ عجاب واعتقد قادة هذه الحياة انه أمر مبيت وخطة مدبرة ضد هده الحي السائدة وانه لابد من مكافحتها » وانطلق الملا منهم ان امش واصبروا على الهتكم ان هذا لشئ يراد » لقد كانت ضربة قاض على أفكار الحياة الخاطئة بأسرها يتأثر بها هيكل الحضار والسياسة بجميع أركانه،

لقد كانت - ولا تزال - هذه الكلمة تعنى أن هذه الحي ليست أجمة برية وحشية لم يعتن بها معتن بل هى حديقة منسا غرسها الله تعالى وتعهد تهذيبها وأصلاحها، وأن الانسان ريحا هذه الحديقة وروح الربيع وكيف تذبل هذه الريحانة وتدوس الاقدام او تخطفها الطير أو تهوى بها الريح ولم تؤد مهمتها و تحل المحل اللائق بها ؟ فتقتضى فطرته ان يعبد الله وحده و تطال نفسه السامية ان لا يقتنع بغير رضا الله، ويقتضى شرفه و كرام ان يجاهد فى هذا السبيل ويبذل ما عنده من عقل و مواه او مال و مكاسب وليس للانسان ان يتطأ من لجسد أو روح أو جبل و نهر أو شجر و حجر أو ثروة مثر أو جاه وجيه او سلطا ملك، انه ليسمو على كل مخلوق ويتضاءل أمام خالقه، ان العا لم يخلق الا ليخدمه ويطيعه، ان الله سبحانه وتعالى قد أسج الملائكة الذين هم حملة القوى الكونية ليعلم الانسان أن ه



.كون خاضع له متواضع، فيأمره و ينهاه و يستخدمه لمصالحه
طيبة و يسخره لمآربه العادلة ...، (و ذلك قوله لا اله الا الله)،

ثم ان حياة الانسان هى السهم الوحيد الذى يملكه فاذا
.اب غرضه فيا له من سهم مصيب! و اذا طاش و أخطأ رميته
/رزيئة رام ضيع سهمه الوحيد! و ان حياته لوسيلة كل سعادة
الدنيا و الاخرة و انها رأس بضاعتة فأخلق به ان يكون ضنينا
.ذه الحياة شديد الاحتفاظ بها و ان لا يضيعها في تجربة و اختبار
.فى مخاطرة و قمار، و ان لا يخبط فيها خبط عشواء و لا يركب
.مياء فانما هى حياته الوحيدة، و ما اقبح القمار فى رأس المال
.ما أشده خطرا! فينبغى ان يسير موكب الحياة بدلالة خريت
.ذق مجرب فان المفازة موحشة و قطاع الطريق كثير و ان يسير
.ضوء النبوءة و الوحى فان عالم القياس و التخمين ظلام فى
.م ظلمات بعضها فوق بعض وان النبوة هى النور الوحيد فى
. الظلمات المتراكمة و المنبع الوحيد لعلم الله المحكم وأمره
.رم و النبى هو المتصل بهذا المنبع و الواسطة بين الحق و الخلق
الهداية « ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » و
. محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر المتصلين بهذا المنبع
.اتم الانبياء و المرسلين الذى نسخ الله به الاديان و نصبه اماما
. زمان و مكان، و هو اجمعهم لصفات النبوة و الكمالات



البشرية و معانى الحسن والاحسان، و هو المثل الكامل للبشر فى كل عصر و مصر، و ان دينه الذى جاء به هو رسالة كل عصر ودواء داء، فلا يتم الايمان بالله ولايمكن الوصول اليه الا بالايمان بالرسل عامة و بمحمد صلى الله عليه وسلم خاصة، وذلك قوله « محمد رسول الله »

و ان الانسان ليحمل فى رأسه طموحاً لا يشبع « وهمة فى قلبه لا تقف، وروحاً فى جسمه لا تنى، وقلباً فى جنبه لا يطمئن فلا يروى غلته و لا يشبع جوعته هذاالعالم الضيق المتثاقل وان طاعته وعصيانه لاوسع من ان يستوفى ثوابها أو عقابها فى هذا العالم المحدود، فتلزم له حياة خالدة وعالم لا يعرف الثغور والاطراف ليست هذه الحياة الا قطرة من يم اذا قورنت بالحياة الاخرة وليس هذا العالم الاشبحا اذا قوبل بالعالم الاتى، وذلك هو الايمان بالبعث والحياة الاخرة الذى هو تمام الايمان، و ثالث الاركان فى الاديان،

لقد بلغ الذهن الانسانى فى القرن السادس المسيحى من الشلل الفكرى و بلادة الحس غاية عجز معها عن ان يتخطى الماديات والمحسوسات وما يتصل بالجسم والبطن وان يعتقد لانسان اختصاصا بالنبوة والوحى، لقد كانت لهم مقاييس ورثوها عن

آبائهم فاذا رأوا بدعاً من البشر او مثالا جديداً للانسانية قاسوه بمقاييسهم ، لقد كانت بينهم رجال يرون انهم المنتهى فى العظمة الانسانية فاذا نبغ فيهم عبقرى او ظهر فيهم رسول قاسوه بهم، لقد أفرغوا جهدهم و نشروا كنانة فكرهم فلم يروا الا ان محمدا صلى الله عليه و سلم اما طالب ثراء و رخاء او رائد سيادة و ملك أو منتجع ترف و لهو ، و اذا أنصفنا ذلك الجيل رأينا انه لم يبعد النجعة فانه لم يجرب طموحا فوق طموح الملوك وتطا و لا اكثر من تطاول الامراء والوزراء فأرسلوا اليه عتبة بن ربيعة فكلم محمدا صلى الله عليه و سلم، وكان ما قاله تمثيلا صحيحا لذهن ذلك العصر و تعبيراً صادقا عن عواطفه و نفسيته قال: «يا ابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، و ان كنت انما تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، و ان كنت انما تريد به ملكا ملكناك علينا »

وما أجاب به رسول لله صلى الله عليه وسلم كان تمثيلا صحيحا للنبوة وعرضا صادقا لموقف الامة الوليد فأثبت انه لا يطمح الى ثراء ورخاء او شرف وترف، أن نفسه العالية لتسمو عن هذه الخسائس سمو السماء على الارض انه لا تهمه راحته الذاتية ورقيه الشخصى انما يقلقه مستقبل البشر انه لا يصنع

سه جنة شداد بل يريد ان يعيد الانسان المنفى الى الجنة
الدة التى اعدت له، انه لا يسعى ليسود قبيلة أوأمة بل يريد
، يخرج الانسان من حكم الانسان كائنا من كان ويدخله فى
كم سيده الذى هو رب السماوات والارض،

على هذ الاساس نهضت هذه الامة وبهذه الرسالة انتشرت
، العالم وان ما أجاب به رسل المسلمين فى مجالس رستم
زدجرد يمثل تمثيلا صادقا اروحها ونزعتها قال ربعى بن عامر:
الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله
حده ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا ومن جور
ديان الى عدل الاسلام، ولما أمكنهم ان يؤسسوا دولة
، منهاج دينهم وأساس عقيدتهم نفذوا فعلا ما كانوا يدعون
ه غيرهم، فخرج الانسان من حكم الانسان الى حكم الله وعدله
م يكن الحكم لحزب أو عشيرة بل كان الامر والنهى لله، يقول
خليفة الاول: « أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة
عليكم » وقال عمر لعمرو بن العاص وقد ضرب ابنه رجلا من
، مصر « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحراراً امهاتهم »
ان نائبهم على مملكة كبيرة كفارس يعيش فى عاصمتها القديمة
دنى فرد من أفراد الامة حتى يتوهم الغريب أنه فقير أو
بر فيضع الحمل على رأسه فيحمله الى بيته، وكان أكبر غنى

نهم يعيش فى الدنيا كأنه غريب أو عابر سبيل فيستهين
لمذات هذه الحياة الفانية و يدخر طيباته للحياة الخالدة ،

كان وجود هذه الامة فى كل ناحية من نواحى العالم
مزاً لحقيقة غير الحقائق المادية واللذات الجسدية وكان كل
رد من أفراد هذه الامة يعلن للعالم وليداً وميتاً ان وراء القوى
مادية قوة سماوية و وراء الحياة الفانية حياة خالدة فاذا ولد وليد
رخ فى أذنه بهذه الحقيقة و اذا مات فارق الدنيا بهذه الشهادة ،
ذا ساد على هذالعالم جمود أشبه بالموت وغاص الناس فى بحر
حياة الى آذانهم واختفت كل حقيقة وراء الحقائق المادية اذا
صوت يدوى « حى على الصلاة حى على الفلاح » فينكسر طلسم
لعالم المادى و تتجلى الحقيقة الروحية و يجرى الناس وراء هذا
لصوت وقد نفضوا أيديهم من أشغالهم و خروا أمام ربهم ، واذا
ضرب الليل رواقه و مد النوم أطنابه على هذالعالم الحى الصاخب
اذا هو مقبرة واسعة ليس بها داع ولا مجيب اذا بمعين الحياة
نصب فى وادى الموت كما ينبلج الصبح الصادق فى الليل الغاسق
تتلقى الانسانية الناعسة من مؤذن الفجر درساً فى الحياة
النشاط و الكدح . الكفاح ، و الشكر و العبادة ، واذا اغتر أحد
قوته وسلطانه وزها بكثرة ملائه وأعوانه وقال بلسان المقال أو
لسان الحال « أنا ربكم الاعلى » او « ما لكم من اله غيرى »

قام رجل متواضع على منصة عالية فى كل بقعة من بقاع مملكته أو نفوذه و نادى « الله أكبر الله أكبر » فينادى بحكم الله فى مملكته و يرغم أنف الاله الكاذب فى سلطانه

اذا هاجرت جالية مسلمة من رقعة من رقاع هذه الارض او أجليت منها لم يصب نظام المعيشة بشلل أو خلل، وظل الناس يتكسبون و يأكلون كما تأكل الانعام وظلت رحى الحياة تدور دورها الطبعى، ولكن روح ذالك المجتمع الانسانى يفارق جسده فيصير جثة هامدة لا حياة فيها ولا روح، كذلك كان فى أسبانيا و كذلك كان فى كل بقعة انسحب منها المسلمون او أجلاهم عنها اهلها، وهل أسبانيا الحاضرة الا مدنية بلا روح و حياة بلا مبدأ و أمة بغير رسالة للعالم ؟!

ان المؤمن وحده هو صاحب عاطفة فى هيكل العقل و المادة الذي لا يعبد فيه الا النفس و البطن، وهل الحياة الا العاطفة؟ وهل الدنيا اذا ماتت العاطفة وغلب العقل وحكمت المادة الا سوق تجارة أو ميدان حرب ؟ فاذا ثار المؤمن للحق كسر طلاسم العقل و فك سلاسل الكون وحطم أصنام المادة . أملى على العالم ارادة الله فاذا هو مطيع خاضع واذا هو متواضع خاشع، وقلب تيار الحياة وغير وجه التاريخ وأرغم الكون على ان يسير سيرته،

حالت دجلة فى سبيل المسلمين دون المدائن وكانت
السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فجمع سعد الناس فحمد
الله وأثنى عليه وقال ألا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم،
فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل، فندب الناس
الى العبور وأذن لهم فى الاقتحام وقال: قولوا: نستعين بالله
ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه
وليظهرن دينه وليهزمن عدوه، ولا قوة الا بالله العلى العظيم،
وتلاحق الناس فى دجلة وهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر
وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطئ شيئ (١)

نزل طارق بالاندلس والبحر وراءه والعدو أمامه
والمستقبل رهيب والطريق مظلم والارض كفة حابل والعدد
زهيد والمدد بعيد، فهزئ بأشباح المادة المخيفة وعاند العقل
وأمر باحراق السفن التى ترجع به الى بلاده (٢) وعزم على الفتح
وأيقن بالنصر، فهزم العدو وملك الجزيرة الخضراء للمسلمين

أراد عقبة بن نافع ان يتخذ مدينة فى افريقية يكون به
عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من
أهل البلاد، فقصد موضع القيروان وكانت وحلة مشتبكة بها من

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٩٨ (٢) نفح الطيب ج ١ ص ١٢١

اع الحيوان من السباع والحيات وغير ذلك فدعا الله وكان
ستجاب الدعوة ثم نادى أيتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول
صلّى الله عليه وسلّم ارحلوا عنا فانا نازلون ومن وجدناه بعد
ك قتلناه، فنظر الناس ذلك اليوم الى الدواب تحمل أولادها
نتقل فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا (١)

خرج محمد بن قاسم وهو ابن سبع عشرة سنة لغزو الهند
ه حفنة من الناس والبحار حائلة وبلاد العدو واسعة الاطراف
رة المسالك لم يجربها العرب، فهزئ بالمعوّقين والمرهبين،
ب الايمان القوة وغلب الروح المادة واذا بالهند من السند
الملتان خاضعة للمسلمين،

ان العالم كله مدينة الاوهام والمؤمن وحده هو صاحب
لا يزول، وعقيدة لا تتحول، وهو في يقينه في عالم الاوهام
اح الراهب في الغابة المظلمة ومنارة النور في بحر الظلمات
زيرة التي يأوى اليها اليائسون والطود الذي لا تزحزحه
ل ولا تزلزله العواصف وقد يتمسك بيقينه ولا يوافقه على
أحد ولا يصدقه احد فلا تخور عزيمته ولا تلين عريكته
رتاب ولا يتلدد والناس بين معارض ومنتقد ومطيع كاره او

---

(١) الكامل لابن الاثير ج ٣ ص ٢٢٤

مخالف معتزل وهو لا يحفل بذلك ويمضى كالسيف حتى يهزم بقي
الف جند من الشك وينقشع سحاب الاوهام ويظهر يقين
مثل فلق الصبح

استعمل النبى صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد عا
جيش وأمره بالتوجه الى الشام، وتوفى النبى صلى الله عليه وس
ولم يسر الجيش وارتدت العرب اما عامة أو خاصة من ك
قبيلة وظهر النفاق واشرأبت يهود والنصرانية وبقى المسلمو
كالغنم فى الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم فق
الناس لابى بكر ان هولاء — يعنون جيش أسامة — جند المسلمي
والعرب على ما ترى فقد انتقضت بك فلا ينبغى ان تفرق جما
المسلمين عنك، فقال أبوبكر والذى نفسى بيده لو ظننت ا
السباع تختطفنى لانفذت جيش أسامة كما أمر النبى صلى ا
عليه وسلم فخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو وان يخر
كل من هو من جيش أسامة الى معسكره بالجرف فخرجوا
أمرهم وحبس أبوبكر من بقى من تلك القبائل التى كانت لـ
الهجرة فى ديارهم فصاروا مسالح حول قبائلهم وهم قليل، ف
خرج الجيش الى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامة ع
بن الخطاب وكان معه فى جيشه الى ابى بكر يستأذنه ان ير
بالناس وقال ان معى وجوه الناس وجلتهم ولا آمن على خل

رسول الله وحرم رسول الله والمسلمين ان يتخطفهم المشركون وقال من مع أسامة من الانصار لعمر بن الخطاب ان أبابكر خليفة رسول الله ألا فامض فابلغه عنا واطلب اليه ان يولى أمرنا أقدم سنامن أسامة، فخرج عمر بأمر أسامة الى ابى بكر فأخبره بما قال أسامة فقال لو خطفتنى الكلاب والذئاب لانفذته كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أرد قضاءاً قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يبق فى القرى غيرى لا نفذته، قال عمر: فان الانصار تطلب رجلا أقدم سنامن أسامة» فوثب أبوبكر وكان جالساً وأخذ بلحية عمر، وقال: ثكلتك أمك يا بن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أعزله، !

وسار أسامة وأوقع بقبائل من ناس قضاعة التى ارتدت وغنم وعاد، وكانت غيبته أربعين يوماً، وقيل سبعين وكان انفاذ جيش أسامة أعظم الامور نفعا للمسلمين فان العرب قالوا لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه (١)

ان العالم سوق لا رحمة فيها ولا شفقة ولا مسامحة فيها ولا كرم، والمؤمن وحده هو الذى يؤثر على نفسه ولو كان به

(٢) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢٧ — ١٢٨ ،

حصاصة ويسامح مدينه وعدوه ويتنازل عن ملك واسع وعرض قريب طمعاً فى الاجر ومحافظة على الكرم

تغلّب ملك كافر على دولة اسلامية فى بلاد مالوه بالهند سنة ثلاث وعشرين وتسع مائة وخرج محمود شاه الخلجى صاحب مالوه من بلاده هارباً عنه الى كجرات فنهض السلطان مظفر الحليم ـ وكان الخلجى لا يزال فى حرب معه وكانا متنافسين ـ من بلاده بعساكره ونزل على القلعة وشرع فى المحاصرة وجد فى أسباب الفتح ودخل القلعة عنوة ووضع السيف فيهم وكان آخر أمرهم انهم دخلوا مساكنهم وغلقوا الابواب وأشعلوها ناراً فأحترقوا وأهليهم وبلغ عدد القتلى من الكفرة تسعة عشر ألفا سوى من غلق بابه واحترق وسوى أتباعهم ؛ فلما وصل السلطان الى دار سلطنة الخلجى التفت اليه وهنأه بالفتح ودعا بالبركة فى ملكه وقال له بسم الله ادخلوها بسلام آمنين. وعطف عنانه خارجاً من القلعة الى القباب ، وهيأ الخلجى الضيافة ونزل الى مظفر شاه السلطان وسأله التشريف بالطلوع فأجابه ، فلما فرغ من الضيافة دخل به فى الابنية التى هى من آثار أبيه وجده فأعجب بها وترحم عليهم ثم جلسا فى جانب منه وشكره الخلجى وقال الحمد لله الذى أرانى بهمتك ما كنت أتمناه بأعدائى ولم يبق لى الان أرب فى شيئ من الدنيا ، والسلطان أولى بالملك

منى وما كان له فهو لى فأسئلك قبول ذلك وللسلطان أن يهبه به من شاء، فالتفت السلطان اليه وقال له ان اول خطوة خطوتها الى هذه الجهة كانت لله تعالى والثانية كانت لنصرتك وقد تلتها فالله يبارك لك فيه و عينك عليه، وسأله أركان دولته ان يستأنف بخولة الخلجى فالتفت الى محمود وقال له احفظ باب القلعة برجال لا يدعو أحداً يدخلها بعد نزولى حتى من ينتسب الى وانصرف الى بلاده (١)

العالم بلاد لا يعيش فيها الا من يحمل فى جنبه قلباً كأنما قد من حجر، لا يعرف الحنان والرحمة ولا يعرف معنى الحب والايثار، والمؤمن وحده هو الذى يحمل فى جنبه قلباً يفيض حنانا ورحمة للبشر، ويجمع بين الرحمة والشدة والصلابة والرقة وشكيمة الاسد وحنان الام، تخلق بأخلاق الله فجمع بين الرأفة والعزة والجمال والجلال وتخلق باخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يغضب لنفسه حتى اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء فبينما تراه فى ساحة الجهاد كأنه نار فى حطب اومنجل فى حقل ليس له عاطفة ولا قلب اذا به تراه فى الصلاة تهمل عيناه ويغلى صدره كالمرجل وتراه يرق للضعيف ويحنو على الارملة واليتيم، قد جمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل الا ان الاولى

---

(١) نزهة الخواطر للسيد عبد الحى الحسنى ج ٤

في سجية وطبيعة والثانية له وسيلة وذريعة فهو ينشد بلسان الحال « واني لحلو تعتري بني مرارة » لا يدع السماحة والكرم حتي مع العدو ولا يترك التمسك بالاخلاق العالية حتي في ساحة القتال ،

هذا صلاح الدين الذي سار مثلا في شدته وجلادته ، تستغيث به امرأة اختطف ولدها فهي تبكي بكاء الثكلى ، فيرق لها بطل حطين ويطوف بها على القبائل والمنازل حتى تعرف ابنها وتضمه الى صدرها ، (١) ويهدى الى قرنه واعدى عدوه في العالم رتشرد الثلج والفواكه في مرضه (٢)

الناس من خوف الموت في الموت وأشد من الموت ، يعدون هذه الحياة رأس مالهم ومنتهى آمالهم فليس من الغريب ان يؤد أحدهم لو يعمر ألف سنة ، حتى اذا جاءه الموت خرج من الدنيا حزينا متلهفا على ما يفارقه كارها مستبشعا لما يستقبله

اما المؤمن فهو دائم الحنين الى ربه ، شديد الشوق الى جنته ، لا يبالي أوقع عليه الموت أم على الموت وقع ، يستقبل الموت باسم الثغر جذل القلب فرحاً مستبشراً كانما هو خارج من السجن أو عائد الى الوطن ؛

---

(١) (٢) الفتح القسي في الفتح القدسي لعماد الدين الكاتب

لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة يوم بئر معونة فانفذه قال عامر : فزت ورب الكعبة (١) ولما ضرب ابن ملجم على بن أبى طالب : قال فزت ورب الكعبة (٢)

قام ابو عبيدة في الناس في طاعون عمواس ، فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان أبا عبيدة سأل الله ان يقسم له منه حظه فطعن فمات ، واستخلف على الناس معاذ بن جبل فقام خطيبا بعده فقال ايها الناس ان هذا الوجع رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وان معاذاً يسأل الله ان يقسم لآل معاذ حظهم فطعن ابنه عبد الرحمن فمات ثم قام فدعا به لنفسه فطعن في راحته فلقد كان يقبلها ثم يقول ما أحب ان لى بما فيك شيئاً من الدنيا (٣)

وحضر بلالا الوفاة فقالت امرأته واحزناه قال بل واطرباه ، غداً نلقى الاحبة : محمدا وحزبه (٤) ، وكذلك روى عن عمار انه كان يقول ذلك عند وفاته (٥)

---

(١) طبقات ابن سعد (٢) كتاب المتفجعين لمحمود بن محمد بن الفضل (٣) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢١٦ (٤) الغزالى فى الاحياء عن ابن ابى الدنيا (٥) الطبرانى

المؤمن هو الذى يستطيع أن يفضل الفقر على الغنى والاخرة على الدنيا والنسيئة على النقد الحاضر والغيب على الشهود والدين على الحياة فى كل دور من أدوار التاريخ مهما بلغت المادية أوجها ،

ليس لقطر من الاقطار أن يمن على الاسلام بأنه فسح له فى أرضه ، وانما الفضل والمنة للاسلام على كل قطر فقد ألقى عليه درساً فى التوحيد الذي لا يشوبه شرك ، وحب الانسانية العامة واحترامها ، ووسع افق خياله فصار يرى للحياة معنى غير معني وللانسانية مستوى أرفع من مستواها القديم وعالماً أفسح من وكره الذى يعيش فيه ، انه وضع عن كل أمة اصرها والاغلال التي كانت عليها وانقذها من العنصرية والجنسية والوطنية وعبادة الما والبيوتات والاشجار والاحجار والحيوانات والانهار والارواح والاجرام السماوية ومن الرهبنة الفاتكة بالمدنية والعزبة القاطعة للنسل ، هو الذي كسر طلسم الاوهام التى مضى عليها قرون ودرج عليها أجيال ، أطلق العقل من أساره ، ورفع الحجر عن العلم ونسخ احتكار البيوتات للدين ورسم في الذهن منزلة العمل الفردي والسعى الشخصى واستقلال كل انسان بعمله ومسئوليته ومن الذي يستطيع ان ينكر أن الفضل فى تقدم العالم وقطع مراحل المدنية والعلم انما يعود الى الاسلام ؟ ومن الذى يجحد

اليوم أن الفضل فى تقدم اوربا وتخلصها من رق الاحبار والرهبان وسلاسل الكنيسة والحكم المطلق، وفى العكوف على العلوم الطبعية والتجربية، والخروج من الهمجية الى الحضارة انما يعود الى الاندلس الاسلامية التى ظلّت قروناً طوالا منهل الثقافة ومنبع العلم ومدرسة الفن والتهذيب فى العصور المظلمة؟! ان كلمات العدل والمساواة والانسانية والعالمية منتشرة فائعة اليوم فى كل ناحية من نواحى الهند وبارزة على كل صفحة من صفحات أدبائها وكتابها، وخفيفة على لسان كل خطيب ومتكلم؛ ومن ذا يكابر فى ان الاسلام هو الذى عرّف هذه الكلمات الى أهل هذه البلاد وسعى فى رواجها وذيوعها فى بلاد لم تكن تعرف هذه الكلمات ومعانيها،

إن المسلمين ليسوا نسلا او شعبا فحسب، وليس الاسلام عادات وتقاليد تراثا يتوارثه ولد عن أبيه، انه دعوة ورسالة وحياة وعقيدة تقتضى بالطبع ان يكون نظر المسلم أوسع من الماديات والمحسوسات ومن عالم النفوس والبطون ووطنه أوسع من المنطقة الصغيرة التى ولد فيها، وان يكون قلبه عامراً بحب كل انسان كائنا من كان، وإن لا تكون الاوطان والانساب عائقا فى سبيل حبه وعطفه وان لا يكون سعيه منحصراً فى نطاق الحياة الضيق، ويلزم كل من يدين بهذا الدين أن يحمل

للبشرية رسالة الروح والقلب والعاطفة والسياسة والاجتما
ويملك قوة أخلاقية تراقبها فى النور والظلام والوحـ
والاجتماع والعجز والمقدرة، عنده أساس متين من العلم وبينا
ومحكمات فى المدنية، وحياة نبى كان ولا يزال المثل الكا
للبشر فى مختلف ظروفه وأحواله ومختلف عصوره وأجيال
وكل أمة كان هذا شانها فهى حاجة كل عصر وقطر ومفز
الانسانية فى كل ساعة عصيبة وكلما حلت بها أزمة عجزت ع
حلها العقول البشرية والنظم الاجتماعية والسياسية،

لذا حجب الليل النهار، وهجمت جنود الهوى من كـ
جانب وهزمت انفضيلة والاخلاق، واذا أصبح الانسان ينحر أخـ
لاجل فلس أو لاجل قرص، واذا أصبحت الشعوب الكبيرة تزد
الشعوب الصغيرة فى سبيل الجشع او الخيلاء، واذا صار و
المال يعبد على قارعة الطريق، واذا ضحى بألوف من النا
على أنصاب الجنسية والوطنية، واذا حال الانسان بين الانسا
ورزقه، اذا التهبت نار الشهوات وانطفأ نور القلب، اذا نسـ
الانسان الموت وعكف على الحياة يعبدها، اذا غلا الحجـ
والمعادن ورخص الانسان فى سوق العالم فصارت المدن العامر
تسوى بها الارض وألوف من البشر يقتلون فى دقائق وثوا
بالقنبلة الذرية، اذا تغلبت الامم الاوربية على العالم وجعلـ

ت المقامرين أو سوق الجزارين وعبثت بالانسانية عبث الوليد
عانب القرطاس وتلاعبت بالامم كالكرى، اذا ظهر الفساد فى البر
البحر بما كسبت ايدى الناس، هنالك يستصرخ هذا الكون
مؤمن ويستغيث به وهنالك تناديه الانسانية باسم الاسلام
ذى طلع كالصبح الصادق فى ظلام الليل الحالك وباسم مح
لى الله عليه وسلم الذى أغاث الله به الانسانية فى احتضار
انتحارها وحفظ به مهجة الانسانية وأدال به من الجاهلية
جهلاء،

فهل يسمع المؤمن فى جزيرة العرب التى أشرقت منها
مس الاسلام وفى حواضر البلاد العربية فى آسيا وافريقية وفى
الاقطار الاسلامية عامة صراخ الانسانية وعويلها فيهب من نومه
عميق الطويل الذى مله العالم ويثب كالاسد وينقض كالصقر
لى أعداء الانسانية، انه بذلك لجدير وبحول الله على ذلك
دير، فهو معقل الانسانية ومنتهى الرجاء وأمين الله فى
الارض وخليفة الانبياء

يدعون سياراً اذا احمر القنا

ولكل يوم كريهة سيار